يقظة الفيلسوف

اضواء على موقف بدوي الاخير من المستشرقين

م.د.باقر ابراهيم حسين رئيس قسم – الدراسات الشرقية

كلية الاداب– جامعة واسط

المقدمة :

في مساء يوم شتائي باريسي بارد من شهر كانون لاول سنة 2001 كان الدكتور عبد الرحمن بدوي يتنزه في احد شوارع العاصمة الفرنسية ،وفجأة زلت قدمه وسقط على رصيف الشارع بقسوة ، واغمي عليه ،نقل بعدها الى احد المستشفيات ،وبعد عشرين يوما استيقظ من غيبوبته – ومن هذه اليقظة كان عنوان البحث ورمزيته بنفس الوقت - ،وحين سأله الطبيب من انت ؟ قال له : انا فيلسوف مصري . انها اليقظة التي اعادته الى بلده بعد غيبة لاكثر من ثلاثين سنة ،لكنها ايضا اليقظة التي قادته الى نهايته ،اذ توفي بعد اشهر من عودته نتيجة لسقطتته تلك .وهكذا افل نجم من سماء الفلسفة العربية ،بل نجمها الاكثر لمعانا .فالجميع يعرف وبالاخص المتخصصين منهم في حقل الدراسات الفلسفية ،ان كتابات عبد الرحمن بدوي متعددة ،وجهوده متشعبة وانتاجه ضخم ، وهو من السعة والثراء بحيث تعجز عن القيام به هيئات علمية ذات امكانيات كبيرة ،لكن هذا ما قام به بدوي بمفرده ، فقد قدم طوال حياته الفكرية مايربوا على المائة والثلاثين كتابا في حقول الفلسفة والفكر المختلفة فضلا عن مئات المقالات والبحوث .طوال 65 سنة من عمره .

فهو يمثل اكبر سياحة فكرية يقوم بها مفكر عربي في حقل الفلسفة وربما في بقية حقول المعرفة ،انه بلا مبالغة يعادل انتاج مؤسسة اكاديمية قائمة بذاتها .وقد وصفه حسن حنفي في كتابه حوار الاجيال ، بانه الفيلسوف الشامل . وبدوي من المفكرين الذين يعلنون بكل وضوح انتمائهم

الفلسفي،فهو ينتمي الى الوجودية الملحدة ممثلة بابرز فلاسفتها هايدغر . في حين انه لم يشعر باي تقدير لسارترمن الناحية الفلسفية ولم يعتبره ابدا فيلسوفا وجوديا فهو مجرد اديب[1].

وبالنسبة لموضوع بحثنا حول موقف بدوي من المستشرقين وتطور هذا الموقف في مراحل حياته الفكرية فهو امر ملاحظ بوضوح . فموقفه من المستشرقين لم يكن موقفا واحدا وثابتا طوال مسيرته الفكرية ،فهناك مواقف متعددة تجاه المستشرقين واعمالهم . وتختلف هذه المواقف باختلاف موضوع دراساتهم وباختلاف مواقفهم ،وباختلاف مراحل تطور فكر عبد الرحمن بدوي نفسه . فقد لاحظ في بداية حياته الفكرية اجتهاد المستشرقيين ،وانكبابهم على العمل ،وغزارة انتاجهم ،اذ احتك ببعظهم حين كانو يلقون المحاضرات في الجامعة المصرية ،والبعض الاخر عن طريق سفراته ،فتركوا لديه انطباعا جيدا ،بل واثاروا اعجابه الشديد .لكنه في خريف العمر ،تيقظ مفكرنا فادرك احقادهم ومثالبهم ومواقفهم غير الموضوعية تجاه الاسلام ،فتصدى لهم بالنقد في كتاباته الاخيرة ،وبالأخص في كتابيه الدفاعيين عن القرآن والنبي الكريم .

ويميز الدكتور احمد عبد الحليم عطية بدراسته (المماثلة والمقابلة) بين ثلاث مراحل من موقف بدوي تجاه المستشرقين . تميزت كل منها بموقف محدد تجاه المستشرقين واعمالهم .[2]

المرحلة الاولى : هي مرحلة التماثل وفيها يتبنى بدوي بصورة شبه كاملة مناهج المستشرقين ونتائج ابحاثهم ،ويتابع تحليلاتهم ، ونقل اعمالهم الى العربية مع الاعلاء من شأ نها والافراط في مدحها ،ويظهر ذلك بصورة واضحة بدراساته المبكرة التي يبدي فيها اعجابه الشديد باعمالماسينيون ، وبول كراوس ،ونلينو وشيدر .

المرحلة الثانية : تميزت هذه المرحلة بالموضوعية واتخاذ مسافة نقدية واضحة تجاه بعض اعمال المستشرقين اذ بدى بدوي في هذه المرحلة يحلل دراساتهم موضحا مناهجهم وتوجهاتهم واين اصابوا واين اخطأوا وبالاخص مواقفه تجاه غولدتسهيرومرجليوث .

---

[1]- عبد الرحمن بدوي –سيرة حياتي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر–بيروت 2000ط1 –ج1 ص183-184

[2]- د .احمد عبد الحليم عطية–المماثلة والمقابلة ،مقالة منشورة في مجلة "المسلم المعاصر عدد79 – ص31-80 القاهرة

المرحلة الثالثة : وهي المرحلة التي تميزت بموقف النقد العنيف والهجوم المباشر على الدراسات الاستشرقية التي تنتقد الاسلام والقرآن والنبي محمد ،وهو الموقف اللذي تبين بوضوح بكتابيه (دفاع عن القرآن ضد منتقديه) [3]الذي صدر بترجمته العربية سنة 1997- القاهرة .و(الدفاع عن محمد(ص) ضد المنتقصين من قدره). [4]وبحثي سيركز على المرحلة الاخيرة من تطور مواقف بدوي تجاه المستشرقين مبينا ردوده وانتقاداته لهم ، مقارنة بما كان يكيله لهم من مديح واعجاب في المرحلتين السابقتين ، فبدوي الى وقت اصداره موسوعة المستشرقين في منتصف الثمانينات ، كان اعجابه واشادته بالمستشرقين قائمة ،فلم نرى انتقادا جادا لاي منهم طوال صفحات الموسوعة .

لذا يبدوا موقفه الاخير في كتابيه السابقين وكانه موقف فجائي انفجاري ،ومعلوم ما للمواقف الفجائية الانفجارية من شحنة عاطفية وغضب يفقد المرء توازنه في بعض الاحيان . وليس قصدي من هذا الكلام التقليل من شأن الكتابين ولا من شأن حجج بدوي وردوده ، ولكنها ملاحظة اولية ارى ان تاخذ بعين الاعتبار،لان القارىء سيصادف بالكثير من الشتائم بحق المستشرقين بين ثنيا الكتابين .وبحثنا الحالي هو محاولة لرصد ملامح كل موقف من هذه المواقف الثلاث التي اشرنا اليها والاشارة الى التغيير الذي يطرأ على موقف بدوي ان وجد :

الموقف الاول :

كما اشرت في المقدمة كان موقف بدوي من المستشرقين وكتاباتهم في بداية حياته الاكاديمية موقف الاشادة والتطابق والتأيد التام لكل مايقوله المستشرقين . وهو امر لايلام عليه بدوي بشكل مطلق ،لانه اولا في بداية حياته الفكرية فلم يتسنى له بعد ان يكون له اراء خاصة على درجة كافية من النضج ،وثانيا نستطيع ان نقول انها فترة مراهقة فكرية ،وعادة ماتتسم هذه الفترة بالاندفاع وراء الغريب والمتطرف من الافكار ،ربما من باب لفت الانظار ،وكانت افكار المستشرقين تمتاز بهاتين الميزتين بالنسبة لبيئة فكرية تقليدية ومحافظة كالبيئة العربية .والسبب الثالث ربما يعود الى ان

[3]- عبد الرحمن بدوي– دفاع عن القرآن ضد منتقديه–ترجمة د.كمال جاد الله ،دار الجليل ط1– القاهرة 1997 .

[4]- عبد الرحمن بدوي– دفاع عن محمد (ص) ضد المنتقصين من قدره ،ترجمة د.كمال جاد الله - الدار العالمية للكتب للنشر-القاهرة ،ط1 1999.

بعض المستشرقين كانوا اساتذة لبدوي مثل بول كراوس فضلا عن انه التقى بالكثير منهم من خلال حضور مؤتمراتهم ،فقد حضر لاول مرة المؤتمر الدولي للمستشرقين سنة 1948 في باريس واستمر حضوره بانتظام في المؤتمرات اللاحقة .

على اية حال ان تجليات هذا الموقف تجسدت عند بدوي على شكل ترجمات لأبحاث كثير من المستشرقين مما لها صلة بالتراث الاسلامي ،اذ يقوم بدوي باختيار مجموعة من ابحاث المستشرقين ويترجمها ويقدم لها ويؤلف فيما بينها ثم يصدرها في كتاب بعنوان لافت ينسجم مع وحدة الموضوع.وهذاما نراه في اول كتبه المبكرة وهو :(التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية- 1940) وهو مجموعة ابحاث مترجمة لمستشرقين معروفين. اذ يرى بدوي ان الهدف من ترجمته لهذه البحوث هي محاولة للإجابة عن ماهية الحضارة الاسلامية وجوهرها ،وين تقف من الحضارات العالمية ؟ وما هي ابرز ملامح موقفها من التراث اليوناني. ومن الغريب ان نجد بدوي في مذكراته يقول عن ابحاث هذا الكتاب انني اردت ان اطلع الباحثين العرب على نماذج من الدراسات العلمية الدقيقة التي قام بها المستشرقون في هذا الميدان حتى يأتوا بمنهجها فيما يتبادلون من موضوعات في التراث الاسلامي ،كيما يطرحوا الكتابات الخطابية غير العلمية ولا المنهجية التي دأبو عليها في هذا الباب . [5] والغريب ان هذا الكلام ياتي بعد صدور كتابيه الدفاعيين عن القرآن والنبي بعشر سنوات اذ ان المذكرات صدرت سنة 2000 تقريبا في حين ان الكتابين المشار اليهما صدرا (بالفرنسية)في نهاية عقد الثمانينات من القرن السابق .وفيهما اشار الى ان منهج المستشرقين سراب خادع ، موضوعيتهم في ابهى صورها جزئية.[6]

يقدم بدوي ابحاث هؤلاء المستشرقين دون ادنى اعتراض او تعقيب ،لكنه يقدم ملحق في نهاية الكتاب هو عبارة عن سيرة لثلاثة من هؤلاء المستشرقين ومقارنة بين مناهجهم في البحث .وهم كل من (كارل هنريش بكر) و(غولدتسهير)و(نيلنو).والتي نجد مادتها تعاد مرة اخرى في موسوعته

[5]- بدوي – السيرة –ج1 .ص152 .

[6]- بدوي– دفاع عن محمد

عن المستشرقين التي صدرت بعد هذا الكتاب باكثر من اربعين سنة اذ صدرت الموسوعة سنة 1984 .

ويقارن بدوي بينهم من حيث المنهج :فيقول

منهج غولدتسيهر استدلالي يعتمد كثيرا على البصيرة والوجدان الا انه معتدل فهو منهج وسط تجنب خطرين خطر الضيق والسطحية في المنهج بالمعنى الدقيق وخطر الافراط في السعة والتأملات البعيدة الخيالية التي تصاحب عادة المنهج الاستدلالي الوجداني .

بينما منهج (بكر) لم يحتاط كثيرا في استخدام الوجدان والبصيرة مما ادى به الى اقوال وتاكيدات فيها من الغلو والافراط احيانا قدر كبير ،حتى انه يخشى على بنائه الشامخ الرائع ان تعصف به عواصف الوثائق لو نظر فيها بدقة وامعان .

اما منهج (نيلنو) فهو منهج استقرائي خاص كل اعتماده على النصوص لايكاد يخرج منها الى النتائج الواسعة او التيارات الروحية العامة وهو في هذا يشبه نولدكه .[7]

واستطاع بدوي ان يوظف عدد من ابحاث المستشرقين من اجل ان يدعم وجهة النظر الروحية التنويرية حسب رأيه التي ظهرت في التراث العربي الاسلامي ،من خلال مجموعة من ابحاث المستشرقين التي تناولت شخصيات اتهمت بالالحاد في تراثنا الاسلامي من اجل اثبات ان هناك نزعة تنويرية في تراثنا لاتقل عن النزعة التي ظهرت في اوربا .وهو مانره في كتبه التاليه مثلا :

- من تاريخ الالحاد في الاسلام .1945
- شخصيات قلقة في الاسلام .1947
- الانسان الكامل في الاسلام .1950

ففي الكتاب الاول يحاول بدوي ان يثبت وجود نزعة تنويرية في تراثنا الاسلامي ،نشأت نتيجة لانتشار الثقافة اليونانية في ديار الاسلام ،وهذه النزعة كانت موجودة في بلاط كسرى انشروان

[7]- بدوي –التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية– القاهرة ط1 ،ص311-312

ممثلة في بول الفارسي وبرزويه ،وما كانت حركة ابن المقفع وابن الراونديوابوزكريا الرازي الا امتدادا لهذه النزعة ،وهذه النزعه شأنها شأن كل نزعة تنوير تقوم دائما على اساس تمجيد العقل وعبادته بحسبانه الحاكم الاول والاخير والفيصل وهذا ماكان عليه الحال في نزعة التنوير اليونانية لدى السفسطائيين وفي نزعة التنوير الاوربية لدى فولتير وكانت.[8]

ان بدوي ومن خلال الابحاث التي ضمها هذا الكتاب يريد ان يؤكد وجود مثل هذه النزعة التنويرية ،لذا نجده يبرر مواقف واراء هؤلاء المفكرين اللذين نعتوا بالالحاد في تراثنا الاسلامي ويشيد بهم باعتبارهم يعبرون عن ارادة حرة وعقل مستنير من امثال صالح بن عبد القدوس او ابان بن عبد الحميد اللاحقي او عبد الله بن المقفع او ابن اراوندي او ابو بكر بن زكريا الرازي) فهو لايسجل ادنى اعتراض على الاراء التي اوردها المستشرق فرنشيسكوجبرييلي عن (زندقة ابن المقفع)من ان ابن المقفع يظهر قلة احترام وجرأة واضحة على الاسلام بل ومعارضة صريحة للقرآن .وهو مايؤكد قولنا السابق حول سمات هذه المرحلة من حياة بدوي المتمثلة بالانقياد التام لمايقوله المستشرقون ،فضلا عن ميله الى اكثر الاراء شذوذا في التراث ،الا وهي معارضة القرآن ،القرآن الذي سيدافع عنه بدوي في اخريات حياته ،لكنه لم يشكل له هاجسا في بداية حياته الفكرية .ففي هذه المرحلة لم يكن بدوي يكترث الا لحرية الرأي وحرية التعبير بل والجرأة في هذه الحرية في تعبيرها عن الوجود الانساني في مقابل الوجود المطلق . ونجد في هذا الكتاب بحث لبدوي نفسه عن ابو بكر الرازي يستعرض فيه اراءه الالحادية ويسجل اعجابه بهذا الفيلسوف الذي ينزع نزعة فكرية حرة من كل اثار التقليد ،ويؤكد حقوق العقل وسلطانه الذي لايحده شيء وينحو منحنى تنويريا شبيها كل الشبه بحركة التنوير في العصر الحديث في القرن الثامن عشر ويدعو الى ايجاد نزعة انسانية خالصة خالطتها روح وثنية حرة مما يجعل من الرازي شخصية فكرية من الطراز الاول وواحدا من احرار العقول النادرين في التاريخ .[9]

[8]- بدوي – من تاريخ الالحاد في الاسلام ،القاهرة 1945 التصدير ،ص ط.

[9]- بدوي – المصدر السابق ،ص227-228 .

اما الكتاب الثاني وهو (شخصيات قلقة في الاسلام - 1947) فيظهر اهتمام بدوي بالجانب الروحي والصوفي من الاسلام وهو يضم ابحاث للويس ماسنيون و لهنري كوربان وهناك ملحق خاص عن ماسنيون حياته وابحاثه حيث يصفه بانه احد اهم المستشرقين الكبار فهو في مكانه لايضارعه فيها الا (نولدكه)و(نيلنو) و(غولدتسهير)الذي امتاز عنهم بنفوذ النظرة وعمق الاستبطان .وهو بريء من النزعة التاريخية التي اصابت ابحاث نولدكهوغولدتسهير بالمغالاة في تلمس الاشباه والنظائر – الخارجية السطحية في الغالب الاعم ايذانا بالتأثير وهو منهج ينطوي على مصادرة وافراط كان من فضل ماسينون انه نأى بنفسه عنهم .[10]

ان بدوي هنا يوجه انتقادا للمنهج الاثير عند جل المستشرقين الا وهو منهج التأثر والتأثير الذي يحاول ارجاع الكثير مما قاله القرآن والرسول الى اصول يهودية او مسيحية او مجوسية وصابئية ،في محاولة لتجريد الاسلام من ذاتيته وابداعه وهو امر سينكره بدوي على المستشرقين اشد النكران في كتابه دفاع عن القرآن او دفاع عن محمد.

وبدوي كان من اششد المعجبين بماسنيون منذ ان حضر له محاضرة عامة القاها في الجمعية الجغرافية عن "تخطيط الكوفة " وذلك في يناير 1935.[11]

كما قام بدوي باعداد دراسات ونصوص غير منشورة الف بينها وترجمها وحقق بعضها ووضعها في كتاب تحت عنوان (الانسان الكامل في الاسلام – 1950) وهذا الكتاب يؤكد ماقلته قبل قليل من سيطرة منهج التاثر والتأثير على ابحاث المستشرقين .لان المستشرق (هانز هينرش شيدر) له في الكتاب بحث بعنوان (نظرية الانسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعري) يؤكد فكرة طالما رددها المستشرقين جميعا الا وهي ان الحضارة العربية الاسلامية هي خليط ومزيج من حضارة اليونان والفرس بكل ما تحويه تلك الحضارتين من فلسفة وتصوف وعلم كلام .صحيح انه لايمكن لباحث موضوعي ان ينكر التاثير الواضح لليونان والفرس على الحضارة الاسلامية ،لكن

[10]- بدوي – شخصيات قلقة في الاسلام ، القاهرة– سينا للنشر 1995ط3 ص 289

[11]- بدوي –السيرة ،ج1 ،ص67

من الصحيح ايضا ان لاينكرأي ابداع او اصالة عند مفكري الاسلام ،وهذا مالم يقله بدوي تعقيبا على هذا البحث مثلا لكنه قاله فيما بعد في كتابه بالفرنسية تاريخ الفلسفة في الاسلام الذي صدر سنة 1972بجزئين .

وترجم بدوي كتاب المستشرق (هانز هنريش شيدر)المعنون (الشرق وتراث اليونان)الى العربية تحت عنوان (روح الحضارة العربية - 1949).لان بدوي يرى في هذا العنوان اكثر دقة في التعبير عن مضمون الكتاب من عنوانه الاصلي لان الباحث لايتحدث عن الشرق بصفة عامة بل عن الحضارة الاسلامية تحديدا .

ويشيد بدوي في نهاية الكتاب بالمستشرقين النزيهين ويدعوا العرب الى المساهمة في احياء التراث العربي الاسلامي عن طريق الترجمة والتحقيق والتاليف ،كما انه يشيد بمجموعة من البحوث التي قدمها بعض المستشرقيين من امثال المسشرق الامريكي (دلافيدا) في كتابه (بلاد العرب قبل الاسلام) فقد جاءت هذه الكتب لتغطي فترة مشوشة تاريخيا وهي الفترة الممتدة من تاريخ ميلاد المسيح حتى ظهور الاسلام . كما يتحدث بدوي عن دور الاستشراق الأمريكي في اثراء الفكر الانساني عن طريق المستشرقين الهاربين من اوربا جراء الحرب العالمية الثانية والذي كان (دلافيدا) نموذجا له . وتمنى بدوي ان يستمر هذا الاستشراق بهذه المهام وهذه الروحية على غرار ما قام به المستشرقون في اوربا في القرن الثامن والتاسع عشر والعشرين .[12]

ان كل هذه الكتب صدرت في عقد الاربعينات ،اذ بعدها لم يصدر بدوي كتابا يضم ابحاثا لمستشرقين طوال ثلاثين سنة تقريبا أي الى ان اصدر كتابه (دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي – 1979) والتي انكر فيها على طه حسين اصالة فكرته عن صحة الشعر الجاهلي .

ان هذا الانقطاع الطويل عن ترجمة ابحاث المستشرقين بعد الاندفاعة الاولى في عقد الاربعينات ذو مغزى ،فمن ناحية ان بدوي بدا ينشر كتبه واراءه الخاصة عوضا عن التعكز على اراء

[12]- كارل هنريش شيدر – روح الحضارة العربية ،ترجمة ودراسة عبد الرحمن بدوي ،بيروت1949ط1– ملحق الكتاب ص121-137

الاخرين .وقد تفرغ في هذه الفترة للتحقيق فحقق العمل الكبير منطق ارسطو في ثلاثة اجزاء وقد كان معتزا بهذا العمل الى درجة كبيرة .ومن الناحية الاخرى افترض انه مع النضوج الفكري بدأ يتخذ المسافة النقدية المطلوبة بينه وبين اراء المستشرقين ،وان بحوثهم ليست نزيهة خالصة لوجه الحقيقية والمعرفة بل هناك دوافع اخرى غير ماهو معلن بين السطور .

وهو امر قد تلمسه بدوي منذ بداية حياته الفكرية اذ يقول في سيرته :انه التقى المستشرق الايطالي (كارلو الفونسو نلينو) لاول مرة في منزله بروما سنة 1938 وكنت قد قرأت المادة التي كتبها عن الاسلام في دائرة المعارف البرطانية واثار انتباهي خصوصا المادة التي كتبها عن النبي محمد . اذ لاحظت ان فيها غلوا في النقد السلبي لرسالة النبي وسيرته فدار بيننا نقاش في هذا الموضوع امتد الى اكثر من ساعة .ورغم سعة ذهني للنقد التاريخي فقد انكرت مغالاته في دعوى التأثر بالمذاهب والاراء المسيحية الشائعة في القرن السادس الهجري .[13]

الموقف الثاني :

قلت ان ترجماته لابحاث المستشرقين توقفت طوال ثلاثين سنة ومعها ربما توقف الاعجاب المنقطع النظير بما كانو يكتبونه ، لكنه كان في هذه الفترة مواظبا على حضور مؤتمراتهم باستمرار والتي كانت تعقد كل عشر سنوات وربما كان احتكاكه المباشر بهم والاستماع منهم مباشرة له الاثر المباشر في ادرك مبالغاتهم وتشنيعاتهم على الاسلام ونبي الاسلام هو ماجعله يتخذ موقفا نقديا جديدا من كتاباتهم .

المهم في هذه الموقف الجديد هو رده على كثير من دعاوي المستشرقين بخصوص الفلسفة الإسلامية ،وذلك في كتابه الذي أصدره بالفرنسية بجزأين (تاريخ الفلسفة في الإسلام -1972)

ففي هذا الكتاب يرد بدوي على (رين)وبلاثيوس.إذا كان هؤلاء يقولون إن ابن رشد لم يكن حر التفكير لأنه مقيد بالعقيدة الدينية الإسلامية.ورد بدوي عليهم هو إن فلاسفة أوربا في القرن الثالث عشر يقرنون ابن رشد بأرسطو سلبا وإيجابا.دلالة على مكانته العالية.

[13]- بدوي–السيرة – ج1- ص 110

وفي ذات الكتاب يرد على رأي رينان المشهور الذي يقول:إن الفلسفة لم تكن عند الساميين غير أمر مستعار من الخارج تماما دون خصب كبير وما هي إلا تقليد للفلسفة اليونانية .

يرد بدوي علية بالقول : بأن رينان يخلط بين فكرة العنصر أو الجنس السامي من ناحية وبين فكرة الإسلام بوصفه دينا من ناحية أخرى ،لذا تراه متأرجحا في الرأي بين الإقرار بوجودها حين يقصد الإسلام كجماعة شاملة تضم أجناس عدة من بينها الآريون،وبينإنإنكار وجودها حين يتحدث عن فلسفة عربية حين يقصد العنصر أو الجنس العربي .[14]

لكن هذا الرأي من بدوي يتعارض مع رأي له سابق في بداية حياته الفكرية أعلن عنه في كتاب (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) حيث يقول في المقدمة : لم يكن عند واحد من المشتغلين بالفلسفة اليونانية من المسلمين روح فلسفية بالمعنى الصحيح ،وإلا لهضموا هذه الفلسفة وتمثلوها واندفعوا إلىالإنتاج الحقيقي فيها واوجدوا فلسفة جديدة شاءوا ذلك أمأبوا .[15].

ويرد أيضا على هنري كوربان حول التسمية : هل هي فلسفة إسلامية ،أم فلسفة عربية ؟ويرى أنها مشكلة زائفة تماما لان المدلول واحد فهي عربية لان اغلبتأليفها كانت باللغة العربية وهي إسلامية لان أصحابها عاشوا في دار الإسلام.فلايمكن ان نصف فلسفة ديكارت او هوبز بانها لاتينية كون اهم مؤلفاتهم كتبت باللاتينية .

اما عن اصالة الفلسفة الاسلامية فيقول بدوي ردا على رينان وغيره فيقول : ينبغي ان لايبالغ المرء في تحديد المعيار فيطلب ان تكون في الفلسفة الاسلامية نظراء لافلاطون وارسطو او حتى لاافلوطين ،لان هؤلاء لانظراء لهم ،فمن الشطط ان نحط من قدر الفلسفة الاسلاميةلانها لم تنجب امثال افلاطون او ارسطو .ويعترض بدوي على رأي رينان من ان الفلسفة الحقيقية في الاسلام ينبغي البحث عنها في علم الكلام والفرق الكلامية . فيقول بدوي : ان رينان بين الفلسفة والتفكير

[14]- عبد الرحمن بدوي – موسوعة الحضارة العربية الاسلامية– الجزء الخاص بالفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية–المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت –عمان 1995ط1 .ص 152-153 .

[15]- بدوي – التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية– ص5.

سواء كان لاهوتيا ام صوفيا ،ويرى بدوي ان الفلسفة يجب ان لاتطلق الا على التفكير العقلي الخالص الذي لايعترف بملكة اخرى للتفلسف غير العقل النظري المحض . لذا لا وجهه ابدا لادراج علم الكلام والفرق الكلامية التي تجول في اطار النصوص الدينية وتستند اليها في حجاجها ضمن الفكر الفلسفي حتى ولا باوسع معانيه(بدوي ،الجزء الخاص بالفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية في – موسوعة الحضارة العربية الاسلامية. .[16]

الموقف الثالث :

لقدقلت ان بدوي عاش بين فلاسفة وكتاب الغرب سنين عديدة ،وكان اعجابه بهم منقطع النظير ، فقد شرب من كأس حياتهم حتى ارتوى ،لكنه تنكر لكثير مما اخذه عنهم ،فندم عليه في اواخر حياته ،(وكانت ثمرة هذا الندم كتابيه الدفاعيين عن القرآن والنبي) . فقد كان من اعرف الباحثين العرب بفلاسفة الغرب ومستشرقيه وقد عاصر والتقى بالكثير منم ،لذا فدائما حديثه عنهم حديث الشاهد والعارف .

السؤال الذي يبرز هنا انه لماذا تاخر هذا الاكتشاف بالنسبة لبدوي اي الوعي بالتجني والتعصب واللاعلمية في كتابات الكثير من المستشرقين طوال هذا الوقت ؟اهو الجهل بها ؟ام اللامبالاة ؟ ام غض النظر؟ اما الجهل بها فهو مستبعد تماما لان بدوي اعرف الناس بالمستشرقين وكتابتهم ،ثم ان هذه الكتابات كانت عرضة للانتقاد من كثير من الكتاب العرب فهي اذن كانت معروفة .اما السببين الاخرين فلا نستطيع الجزم بشئنهما ،ولا هو ذكر عنهما شيئا في مذكراته . يبقى هناك سبب وجيه يمكن ان نسوقه هنا وهو ان بدوي صاحب مذهب معروف في الاوساط الفلسفية وهو الوجودية بصورتها الملحدة ممثلة بابرز فلاسفتها هايدغر ،فسيكون غريبا ان ينبري بدوي مدافعا عن الدين ومنطلقاته ،فالامر هنا لايستقيم ،وربما وقر في ذهنه انه سيكون عرضة للسخرية من قبل المشتغلين في الوسط الفلسفي ان هو قام بمثل هذا العمل .انها افتراضات ليس الا ولم يسعفنا الدكتور بدوي في مذكراته الضخمة بتبرير لهذا التحول .

[16]-عبد الرحمن بدوي – موسوعة الحضارة العربية الاسلامية-153-154.

ان الموقف الاخير هو كما قلت في المقدمة موقف انفجاري بمعنى الكلمة فلم يوفر بدوي من قاموس الذم والقدح مفردة الا واطلقها على مجموعة المستشرقين اللذين اهتم باستعراض ارائهم في كتابيه الدفاعيين اللذان يمثلان ذروة الموقف الاخير لبدوي .وسيكون استعراضي لانتقادات بدوي في سياق استعراضي لمتحتويات الكتابين متجنبا في نفس الوقت عرض المحتويات من اجل العرض ،بل من اجل بيان المواقف المتحولة والمتغيرة للدكتور بدوي تجاه المستشرقين .

الدفاع عن القرآن

يمتاز اسلوب كتاب دفاع عن القرآن بالسهولة ،لكنه يعاني من ضعف في بعض الردود، بمعنى لم تكن ردوده حاسمة ،ربما هذا راجع الى ان بدوي لم يكن يوما من انصار الفكرالديني التقليدي ، لذا تاتي اعتراضاته على المستشرقين احيانا غير حاسمة او حتى ضعيفهاذ يستطيع القارىء الذكي ان يتبين ان حجج المستشرق التي يستعرضها بدوي بقصد تفنيدها اقوى من ردوده . وربما هذا يرجع في جزء منه الى ان لبدوي مواقف معروفه من بعض القضايا الشرعية والفكرية في الاسلام التي لايتفق معها .

استعرض بدوي في كتابه ثلاثة عشر اتهاما او مطعنا للاسلام من قبل المستشرقين وخصص لكل مطعن فصلا فكانت الفصول بعدد المطاعن اي ثلاثة عشر :وهذه الاتهامات هي :

1 - ماذا يعني الوصف امي الذي يطلق على النبي محمد ؟
2 - الموازاة الخاطئة بين القرآن والعهد القديم .
3 - معنى كلمة فرقان .
4 - الافتراضات الخيالية لمرجليوث.
5 - اجناتس جولد تسهيروالقياسالخاطىء بين الاسلام واليهودية .
6 - الصابئون في القرآن .
7 - الرسل في القرآن .
8 - قرآةهيلينية خيالية للقرآن .
9 - هل للبسملة مصدر في العهد القديم .؟

10 -فشل كل محاولة لترتيب زماني للقرآن .
11 -مشكلة الالفاظ الأعجمية في القرآن.
12 -حول النداء القرآنية :يا اخت هارون .
13 -قضية هامان .

وبطبيعة الحال لايمكن ان نستعرض كل هذه المطاعن اوالردود عليها ،فليس هذه هي غاية البحث ، لكن سيكون هناك انتقاء من المواضع التي نرى انها تنطوي على موقف جذري قياسا بمواقف بدوي السابقة . وكملاحظة اولية عن هذه المطاعن نقول :ان ليس كل ما استعرضه بدوي منها ، له قيمة فكرية لها وزنها بين المستشرقين ممن لهم صيت فكري عريض في ميدان الاستشراق .فعلى سبيل المثال ان المستشرق (سبرنجر) ليس له وزن اكاديمي يضاهي مثلا مونتجمري وات او بروكلمان او لويس ماسينيون،او فلهاوزن. لكن بدوي يستشهد بكتاباته في كتابيه وبالاخص في كتابه (دفاع عن محمد ...)كثيرا كمثال صارخ على عدم موضوعية وسطحية المستشرقين .فهو يصف كتابه (حياة وعقيدة محمد)الصادر في برلين سنة 1861

ويقرر الكاتب أنه بداية من منتصف القرن التاسع عشر بذل المستشرقون كل ما في وسعهم ليبدوا موضوعيين في كتاباتهم، وفي جعل هذه الكتابات أكثر دلالة وجدية، وأكثر تدقيقا في المنهج اللغوي، لكن دون فائدة؛ لإن الدوافع الداخلية التي تضطرم بالحقد ضد الإسلام ونبيه وكتابه المقدس ظلت كما هي، بل إنها ازدادت تأججا .

وبرغم أن هؤلاء الكتاب قد توفرت لهم أدوات فهم اللغات منذ بداية القرن التاسع عشر حتى الوقت الراهن (صدر هذا الكتاب في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي) إضافة إلى توافر نشر المخطوطات، إلا أنهم أصروا على تقديم نظرياتهم الخاطئة، من خلال تصوراتهم الزائفة للقضايا الوهمية التي طرحوها حول القرآن، وطرحوا بالتالي نتائجزائفة توصلوا اليها.ويذكر بدوي أن الهدف من كتابه هو التصدي لفضح تلك الجرأة الجهولة الحمقاء عند هؤلاء المستشرقين حول القرآن، ويورد بداية بعض الملاحظات العامة حول الجهد الاستشراقيفي دراسةالقرآنالكريمفيذكر :

.1- إن معرفة هؤلاء المستشرقين باللغة العربية من الناحية الأدبية أو الفنية يشوبها الضعف، ويمكن القول إن تلك الملاحظة تخصهم جميعا تقريبا .

.2 -إن معلوماتهم جميعا -المستقاة من مصادر عربية جزئية - ناقصة وضحلة وغير كافية، وهم يلقون بأنفسهم في مغامرة طرح فرضيات خطيرة وخاطئة يعتقدون أنهم أول من توصلوا إليها.دون تكليف أنفسهم عناء التقصي لدى تلك المصادر عن نفس المعضلات التي يثيرونها. إذ تطرق الكتاب المسلمون لتلك الفرضيات وفندوها .

.3-إن ما يحرك بعض المستشرقين دافع الحقد والضغينة على الإسلام مما يفقدهم الموضوعية ويعمي بصيرتهم بطريقة أو بأخرى، وينطبق ذلك بوجه خاص على هيرشفيلد و هوروفيتز و سبير.

.4 -ذهب بعض السطحيين منهم إلى الإعلان بأعلى صوته أن في القرآن انتحالا وتقليدا وسرقة، معتمدين على تشابه لا أساس له. وهذا ما قام به مستشرقون مثل جولدتسهيرومرجليوثوشفالي (وقد عرض المؤلف في ثنايا كتابه بالتفصيل لبعض ما أثاره هؤلاء) ويتحفظ نوعا ما فيما يتعلق بنولدكه الذي تبرأ بطريقة ما من كتاب تاريخ القرآن عندما رفض إعادة طبعه تاركا المستشرق شفالي يقوم بهذه المهمة، فطبع الكتاب ثانية وأصبح يعرفبكتاب نولدكهشفالي .

.5- لقد كان بعضا من هؤلاء المستشرقين مدفوعا بالتعصب المتحفز والتبشير مثل وليم موير- وزويمر.

ويقولبدوي أنه لن يتطرق في كتابه لكل القضايا التي أثارها المستشرقون حول القرآن ولكنه يتصدى للقضايا التي يراى انها أكثر أهمية، وقد حصر بحثه في الفترة من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين .[17]

ان الاتهام الاهم براي المتواضع الذي وجه الى القرآن الكريم من قبل المستشرقين هي اتهامه بالاستيلاء على الرواية الدينية والتاريخية للتوراة والانجيل عن الكون والخلق والانبياء وغيرها من القضايا . وهذا الاتهام ماهو الا مثال صارخ على المنهج اللذي يستحوذ على الغالبية العظمى من كتابات المستشرقين في هذا الميدان بالتحديد واعني به منهج (الاثر والتاثير) الذي من خلاله يحاول المستشرقون ان يجردوا الاسلام من ذاتيته ومن ابداعه الخاص برد كل ماصدر عنه الى اصول خارجية . وتشغل هذه التهمة الفصل الثاني من كتاب بدوي .ويورد بدوي قائمة طويلة

[17]- بدوي– دفاع عن القرآن ضد منتقديه– ص 7-8

باسماء ومؤلفات لمستشرقين تصدوا لاثارة هذه القضية .[18] وكما يقول بدوي ذاته فان هذه النزعة ليست جديدة في الغرب فمنذ قرون طويله والبحث مستمر عن مصادر توراتية وانجيلية في القرآن بل وفي غيرها ايضا أي في مصادر صابئية ومجوسية .صحيح انه لم يكن بحثا علميا اكاديميا منذ نشأته وبالتالي لايستحق الرد عليه ،لكن منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ مايسمىبالا ستشرق الاكاديمي ،حيث اصبحت للبحث سمات علمية او تبدو علمية .

ان الاطروجة الاساسية لهذه التهمة يمكن استخلاصها من عناوين المؤلفات التي استعرضها بدوي مثل: كتاب (ماذا اخذ محمد من النصوص اليهودية ؟-جيجر–بون - 1833) وكتاب (العناصر اليهودية في القرآن – هير شفيلد- برلين 1887)و كتاب (قصص الانجيل في القرآن – هاينريشسبرنجر–برلين 1929) وهؤلاء المستشرقين ثلاثتهم يهود . وايضا كتاب (اصل الاسلام في بيئته المسيحية -ريتشارد بيل- لندن 1926) فبمثل هذه العناوين الصارخة المضمون كان المستشرقين يقدمون القرآن لقرائهم ،فان كان القراء ليس لديهم الوقت او الرغبة الكافية لقرأءة هذه الكتب فان عناوينها كافية لصناعة انطباع عام عن القرآن لديهم .

اذ يؤكد كل هؤلاء الكتاب ان محمدا باعتباره مؤلفا للقرآن اقتبس اغلب القصص وعدداكبيرا من الصورالبيانية وكذلك الحكم والامثال من الكتب المقدسة او شبه المقدسة لدى اليهود والنصارى .ويبدو رد الدكتور بدوي الاولي على هذا الاتهام – ان كان فعلا يشكل تهمة- مشوبا بالضعف اذ يقول : لكي نفترض صحة هذا الزعم ،فلابد ان محمدا كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية ،ولابد انه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود والاناجيل المسيحية ومختلف كتب الصلوات وقررات المجامع الكننسية وكذلك بعض اعمال الادباء اليونانيين وكتب مختلف يفالكنائس والمذاهب المسيحية .القران .[19]

[18]- بدوي– المصدر السابق – ص 19

[19]- نفسه– ص24

فهل النبي محمد بحاجة لكل هذه المراجع حقا كي يقول شيئا عن المسيح او موسى ؟ الجواب قطعا لا ،لان النبي ليس بصدد تاليف موسوعة عن الدين اليهودي او المسيحي .ولو ذكرت الاخبار التي وردت عن الديانتين مفصلة في القران لجردته من مضمونه المقدس ولاحالته الى كتاب تاريخ ،ان واحدا من اسرار عظمة القرآن هو اشاريته وشذريته في القول .ثم ان الفضاء المتوسطي كان مزدحما باخبار هاتين الديانتين التي تنقل شفاها في الجزيرة العربية التي لم تكن تخلو لا من اليهود ولا من النصارى . وحتى هؤلاء لم تكن تتوفر لهم مثل هذه المكتبة ورغم ذلك فانهم كانوا يقولون اشياء كثيرة عن دينهم .

اعتراض اخر يسجل هنا على مجمل ردود بدوي على التهمة – وانا لست بصدد الدفاع عن رواية المستشرقين – هو ان التاثير موجود شئنا ام ابينا وهذا لايشكل عيبا او نقصا في القران ،كون الديانات الثلاث تنبع من مصدر واحد وتتحدث وتصف ذات الاشياء والحوادث . ومن هنا استعانة مفسيرينا بكثير من التفاصيل التوراتية كي يفسورا بها اشارت القران الى بعض هذه الحوادث والقصص-وهو ماسمي عندهم بالإسرائيليات- .اذن الامر كان معروفا ولم يشكل عيبا عند مفسيرنا سابقا .وكما يقول بدوي نفسه :كأنه يجب على القران الكريم حتى يكون بريئا من أي انتحال ان يقول اشياء مخالفة للعلم العام او الرشاد . ويعتبر هيرشفيلد استاذ هذا الاتجاه العقيم العبثي .وهناك ملاحظة مهمة يجب ان تقال هنا ويبدوا انها كانت غائبة نوعا ما عن ذهن الدكتور بدوي الاوهي : ان السواد الاعظم من المستشرقين ان لم يكن جميعهم لاينظرون الى القرآن باعتباره كتابا منزلا بل هو كتاب محمد الفه طوال فترة ظهوره في الجزيرة العربية وان سوره كانت تمليها عليه الاحداث التي كان يواجهها وليس وحي يوحى ،اذ لم يكن الوحي الا اداة بيد النبي يستخدمه ساعة يشاء لاضفاء التعالي على اقواله . لذا نراهم -أي المستشرقين- يبحثون عن مصادر المعلومات والقصص والحكم وكل شيء في القرآن ليس في الوحي بل في كتب وثقافة ذلك العصر، فتراهم يشرقوا ويغربوا ويبلغ بهم السخف وسذاجة الاستنتاجات مبالغ شتى .حتى يصل هذا السخف الى قمته حين يتم اقرار ان القرآن ليس الا تحريفا للتوراة .والغريب ان بعض المستشرقين المتعصبين دينيا حين يقصون البعد الغيبي في تفسير نزول القرآن وسوره ،ويثبتونه من جانب اخر في حديثهم عن اليهودية والمسيحية فانهم يقعون في تناقض صارخ اذ ان الجميع هنا في ذات الدائرة الفكرية

والثقافية الا وهي الدائرة الدينية ،بكلمة اخرى أي انهم لم يتموضعوا في نقدهم في دائرة العلم مثلا ،كي يكون النقد هنا يعبر عن وجهة نظر علمية بل انهم يتخندقون في دائرة التعصب الاعمى ليس الا .الذي نجده في مقالة هير شفليد (العناصر اليهودية في القرآن –برلين 1878) وفي كتابه (مساهمات حول تفسير القرآن –ليبزج 1886)والتي يقول عنها بدوي انها لا تستحق ان تدرس فليس لها قيمة وتفتقر كلية الى الفهم لكن تعويضا ومكافأة له عن تلك الصفات اصبح هير شفيلد استاذا بجامعة لندن سنة 1924 .[20]

وطوال صفحات الكتاب سنرى الدكتور بدوي يوجه مثل هذه الاتهامات ويطعن في نزاهتهم والدوافع الحقيقية لكتاباتهم .وكلها اتهامات وجيهة ومنطقية ، لكن لم غابت طوال هذه الفترة الطويلة عن كتابات الدكتور بدويوبالاخص في ترجماته لبحوث المستشرقين او في موسوعته عنهم ، لتظهر فجأة في اخريات حياته ؟ومن هنا رمزية عنوان هذا البحث فانا اقصد بها هذه اليقظة المتأخرة مثلما قصدت بها يقظته من بعد غيبوبته الفعلية .ويرد بدوي على مستشرق معروف من اصول يهودية وهو ديفيد صومئيلمرجليوث .في الفصل الرابع ويقول بدوي عنه انه جند نفسه طوال حياته عدوا عنيدا ضد الاسلام ودفعه تعصبه العنيف الى عرض مزاعم شديدة الغرابة لم يكن القصد منها سوى الهجوم على الرسول محمد والحط من رسالته وان هذه المزاعم رفض قبولها مستشرقون اخرون. مثل ادعائه مثلا ان كلمة مسلم تعني في الاساس واحد من اتباع مسيلمة الكذاب مدعي النبوة .[21] فلك ان تتخيل عزيزي المسلم مدى الجهل والحقد الاعمى لمثل هكذا ادعاءات وخيرا فعل الدكتور بدوي حين عنون الفصل بالافتراضات الخيالية لمرجليوث وبالمناسبة يجب ان لاننسى انه رجل دين وكان يتحدر بالاساس من عائلة دينية يهودية قبل ان ينقلب الى المسيحية ويصبح قسا . لكن الدكتور بدوي كان يشيد ببحوث مرجليوث في فترة سابقة وبالاخص تلك المتعلقة بالادب العربي والشعر الجاهلي،فيقول عنه : لقد خطى البحث خطوة جبارة في هذا الميدان ببحث مرجليوث المنشور سنة 1925 وفيه استغل مرجليوث النقوش الحميرية والعربية الجنوبية وركز

[20]- المصدر السابق – ص31-33

[21]- نفسه–ص 65.

خصوصا على الدوافع الدينية في انتحال الشعر الجاهلي والتغير في الرواية زيادة او نقصان او تحريف .كذلكجهوده في نشره لكتاب معجم الادباء لياقوت الحموي .[22]

ويرد الدكتور بدوي ايضا على المستشرق المعروف جولد تسيهرفي ادعائه ان الصوم الاسلامي اصله من اليهودية بالقول ،انه نفس الابتسار ونفس الفكرة المتسلطة التي جعلته يرى هو ومن على شاكلته من اليهود ،كما ان سوء النية يظهر عنده حين وضع الكلمة العبرية "صوم" بين قوسين بعد اللفظ العربي "صيام " ولو كان اكثر ذكاءا لقال "صوم "بدلا من صيام حيث انها تقترب من الكلمة العبرية ليوضخ تماما ان اللفظ العربي منقول تماما عن الكلمة العبرية .[23] لكن بدوي يستدرك ويقول :انه يجب ان نعترف بانه كان اكثر وسطية من مستشرقين اخرين .[24]

وهذا موقف جديد تماما لبدوي تجاه هذا المستشرق ففي الموقف الاول كان بدوي يكيل له المديح كما مر بنا اثناء المقارنة بين منهجه ومنهج نيلنو في البحث من جهة ومنهج بيكر من جهة اخرى – (انظر ص 4-5 من البحث) وهو ماكرره في موسوعته عن المستشرقين ، حيث يقول عنه :يشاء الله ان يهب الاسلام من الاوربيين يؤرخون له كسياسة فيجودون التاريخ ،ومن يبحثون فيه كدين وحياة روحية فيتعمقون هذا البحث ويبلغون الذروة فيه او يكادون ،وكان سيد الباحثين فيه من الناحية الدينية خاصة والروحية عامة اجينتس جولد تسيهر[25]

وهناك فصل بعنوان :قرآءةهللينية للقرآن .وهو الفصل الثامن ،يذكر بدوي فيه انه مثلما يوجد هناك من قرأ القران قراءة يهودية او قراءة مسيحية ،فماذا يمكن ان يقول هيليني يقرا القرآن قراءة هللينية .لكن الدكتور لم يورد اسما لاي باحث قام بهذه المحالولة ،فهو افتراض من عنده يريد ان يقول من خلاله ان المزاج والاهواء هي التي تتحكم في هكذا نوع من البحوث وليس الحقائق والنصوص

[22]- عبد الرحمن بدوي – دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي–دار العلم للملاين – بيروت 1986ط2 ص11-12 .

[23]- بدوي– دفاع عن القرآن – ص77.

[24]- المصدر السابق –ص 81

[25]- بدوي – موسوعة المستشرقين ،بيروت 1984 ط1،ص119

الواضحة .فلا نستبعد ان يخرج علينا احد المستشرقين يوما يرى في القرآن تاثرا واضحا واقتباسا من الفلسفة اليونانية والافلاطونية المحدثة .الفصول الاخرى لاتشكل القضايا المثاره فيها اهمية ذات بال ،مثل ترتيب سور القرآن حسب سنة النزول او الالفاظ الاعجمية او الصابئة في القرآن .

ويخرج بدوبينتيجة هامة وحاسمة وهي : (أن القرآن الكريم يخرج دائما منتصرا على منتقديه). [26]

الدفاع عن النبي محمد :

يحاول بدوي ان يناقش في كتابه هذا ماتم تسميته منذ ثلاثة قرون في الغرب (اسطورة محمد) مناقشة نقدية متعمقة للدراسات المسماة علمية والمخصصة لحياة النبي محمد (ص)،والتي قام بها علماء مستشرقون بدأ من الثلث الثاني للقرن التاسع عشر وحتى السنوات التالية من عصرنا وذلك حسب الموضوعات المعالجة وليس حسب الترتيب التاريخي للكتاب والاعمال المختلفة التي ستتم مناقشتها .

وبدوي لم يناقش سوى الاعمال التي تكتسب صفة العلمية او هكذا قدمها كتابها .بمعنى انه سوف لن يعير بالا للكتابات الرخيصة المنتشرة في الصحف والكتابات الشعبية التي لاوزن لها لانها تفضح نفسها بنفسها .او الاعمال التي كتبت لاغراض دفاعية من اجل اثبات العقائد المسيحية مثل اعمال (السير موير – والاب لامانس).[27]

ان مسؤولية هؤلاء المستشرقين- بدأ من منتصف القرن التاسع عشر - اثقل الف مرة من مسؤولية اسلافهم في القرون الخوالي في اوربا اللذين لم يتوفر لهم أي مرجع اصلي ومؤكد – وبالتالي يمكن التماس العذر لهم - بينما في متناول هؤلاء كل المصادر القادرة على ارشادهم .فضلا عن ان جانبا كبيرا من تلك المراجع قد نشره اقرانهم الاوربيون بكثير من العناية .[28]

---

[26]- بدوي– دفاع عن القرآن – ص8

[27]- عبد الرحمن بدوي – دفاع عن محمد – ص3.

[28]- بدوي– المصدر السابق – ص4.

يقوم الدكتور بدوي بمسح تاريخي للكتابات التي تناولت النبي محمد في اوربا .اوالاستنتاج الذي نخرج به من هذا المسح هي عبارة عن رواية نمطية غارقة في الخرافة والاسطرةلنبي الاسلام في اوربا طوال عشرة قرون منذ اول ذكر له في كتابات المؤرخ البيزنطي (ثيوفان 751-818) الى تاريخ صدور كتاب المستشرق الهولندي (ادريان رولاند – 1676-1718) عن محمد والاسلام ،لانه اول كاتب اوربي ينظر بعين العدل الى محمد والاسلام براي بدوي .[29]

والرواية النمطية هي انه كان كاردينالا لم يفلح في ان يصبح بابا في روما فاراد ان ينتقم من الكنيسة فذهب الى الجزيرة العربية واخترع دينا جديدا اسماه الاسلام .

او رواية اخرى ان بطرك الاسكندرية حين مات واراد ان يخلفه احد الرهبان طرد من الكنيسة ،هذا الراهب اسمه (ماثموس) وهي التسمية التي صار يكتب بها اسم محمد ، قام هذا الراهب بالزواج من ارملة ثرية اسمها خديجة واشاع انه نبي بين الناس .

اما رواية (بيير دي كلوني - 1156) هي :ان الاسم الحقيقي للراهب بحيرى هو (سرجيوس) وهو من الهراطقة النساطرة وانه ارتحل الى الجزيرة العربية حيث هناك ذرية هاجر ام اسماعيل ابن ابراهيم أي العرب كما يقول سفر باروخ في العهد القديم ،وان هؤلاء العرب سيكونون تافهين وشهوانين ،فنزل هناك وهناك التقى بمحمد ،وعلمه كل مايتصل بتعاليم العهدين القديم والجديد وفقا للتفسير النسطوري الذي لايعترفبالوهية المسيح .وايضا علمه تحصير الارواح وفن التنجيم ووعده بانه سيكون سيدا لمدينة ستحتل مكانا مرموقا في التاريخ وطلب منه ان يطيعه في كل شيء . ولما مات ملك تلك المدينة، دون ان يترك وريث اشتد النزاع بين الشعب فاحتكموا الى الراهب بحيرى ليحل لهم الخلاف فكان جوابه ان يعودا بعد ثمانية ايام حتى يجد الحل وفي هذه الاثناء اتفق مع محمد على بعض الحيل وهي حيلة اليمامة وحيلة الثور الابيض . وحين عادوا بعد ثمانية ايام اقترح عليهم ان يختاروا للملك من يكون قادرا على ايقاف الثور الابيض الذي يجوب الجبال ،وبالطبع لم

[29]- بدوي المصدر السابق – ص 47 .

يستطع احد ان يقوم بذلك باستثناء محمد لانه قام بترويضه مسبقا . وجعل الناس يظنون ان اليمامة التي تهدل في اذن محمد هي ملك من الله يكلمه في اذنه ،في حين انها ايضا مروضة على ذلك .

كانت رحلة سرجيوس اما بدافع الانتقام او لارضاء من طردوه من الكنيسة .وان محمد اصبح احد تلاميذه وانه ادخله المسيحية على المذهب النسطوري ،وحين احس اليهود انه يمكن ان يصل الى المسيحية الحقيقية دسوا بعض الاتباع اللذين اخترعوا الاسلام بعد ان حذفوا واضافوا بعض المقاطع الى القرآن .هذه هي اسطورة محمد في اوربا عشرة قرون من الاكاذيب والافتراءات الباطلة.[30]

ولايفوت الدكتور بدوي ان يسفه بعض المفكرين الاوربين من اصحاب الشهرة العريضة مثل الفيلسوف الانكليزي فرنسيس بيكون الذي يقول في احدى مقالاتهالمسماة الخدعة: ان محمدا قال للعرب ذات يوم ان بامكانه ان ينادي الجبل لياتي اليه ،وقد كان الجبل بعيدا ،وبعد ان ناده لم يتحرك الجبل من مكانه ،وهنا قال لهم محمد : اذا كان الجبل لم يأت الى محمد فان محمد سيذهب الى الجبل.ويعق الدكتور بدوي على هذه السفاهه ،انني أتساءل كيف يمكن لرجل يدعي انه يقيم اسس المنهج التجريبي وقواعده ان يعتقد في حقيقة تلك الفرية المختلقة ،وللاسف فان بعض السفهاء يرددون تلك الاسطورة حتى يومنا هذا .[31]

وايضا المفكر السياسي المعروف (هوغو غروتيوس 1583-1645) صاحب كتاب (قانون الحرب والسلام)وواضع مذهب الحق الطبيعي .الذي يقول اكاذيب وهلوسات عن النبي والاسلام غاية في السخف ،من مثل ،ان الكتب التي تحتوي على الاسلام هي كتب مقدسة . وقراتها محرمة على الشعب ،وهذا التحريم وجد لانه يخفي نظاما متعسفا يمكن ان تكشفه القراءة في كتبه .ان هذا

[30]- بدوي– دفاع عن محمد – ص 5- 25

[31]- بدوي– المصدر السابق – ص22.

المفكر الذي يعد احد اعظم الناس في اوربا ،هو اعظم من وصل الى الغباء المطلق والخيانة العلمية المطلقة .[32]

لكن اسطورة محمد التي تكونت في اوربا على مدار سبعة قرون تراجعت بشكل ملحوظ منذ القرن السابع عشرليحل محلها مفهوم اكثر تطابقا مع الوقائع التاريخية . فقد كتب هامفريبريدو في نهاية كتابه (حياة محمد المخادع) مضطرا رغم انفه ان محمد امتاز بشجاعتة وفطنة عقله وعدم غروره بانتصاراته ،وبدرجة عالية من المجد مما اغراه بان يكون له مكان بين اعظم الثوار اللذين عرفهم العالم ... وقد راينا ميلاد كثير من الامبراطوريات والممالك الاسلامية التي لاتقارن بغيرها في الامتداد والسيطرة لمدة طويلة ... وهذه الممالك يحفظها الله بعنايته بينما يعاق بالمصائب والفوضى المسيحية .[33]

ويرىالدكتور بدوي ان اول كاتب اوربي يكون عادلا مع محمد. هو ادريان رولاند .في كتابه (دين محمد) لكن يجب ان لاننخدع بنيته من وراء تالبفكتابه هذا فالتحول ليس من اجل الموضوعية وبلوغ الحقيقة ،بل مازالت الغاية هي هي تحطيم الاسلام فادريان ذاته يقول صراحة:ان الهدف من تاليفه هذا الكتابهو : ان يصحح الأكاذيب والإحكام المسبقة التي نسجها الكتاب الاوربيون عن محمد والقرآن والاسلام ، من اجل ان نكون في وضع سليم نحن المسيحين في حوارنا مع المسلمين بطرقة منطقية ومقنعه حتى نهاجمهم من الان فصاعدا بشكل اكثر وضوحا وثقلا بعدد من الحجج والادلة .لذا لن يكون بمقدور احد ان يجرؤ بعد هذا الكتاب على ترديد الاساطير المتركمة والاكاذيب التي نسجت في اوربا منذ عشرة قرون حول محمد دون ان يخاطر بان يصبح اضحوكة المثقفين الامناء .

يوضح رولاندن هدفه من تاليف كتابه هذا وبلغة لايجد المرء امامها الا ان يسجل اعجابه بهذا المستشرق الذي اخرق جدار الاكاذيب والخرافات الصلد في الفضاء الاوربي القرن السابع عشر

---

[32]- بدوي – المصدر السابق –23-24 .

[33]- بدوي المصدر السابق –ص38-39 .

والثامن عشر .يقول :ان هدفي لم يكن اخفاء ولا حتى تلفيق حقائق عن دين اكرهه ولا حتى ان اتصل به بشكل عدائي او ودي .فمن يحكم علي هكذا يخطىء ولكن الهدف هو شيء من العدل والنزاهة .فقد رايتني مضطرا للدفاع عن هذا الدين خاصة في الاشياء التي نسبت زورا وبهتانا اليه والتي تخجل وجه الحقيقية حين تعتمد على الاكاذيب والافتراءات ... وقد الحقت بالمسلمين اوصفا كثيرة مثل "خرقاء " "افظاظ " "حمر وحشية " مجانين ،مغفلين ،وحتى شياطين ،واريد ان يرددوا معي الحقائق المضادة التي تعري هذه الاكاذيب التي جعلتني الاحظ ان الايام تثبت ان العالم يريد ان يعيش مخدوعا ومحكوما بالاحكام المسبقة .[34]

وبعيدا عن نية رولاند فان كتابه قد ساهم بعد ذلك في تنوير الاوربيين في موضوع الاسلام .ولذلك لن يكون بمقدور احد ان يجرؤ على ترديد الاساطير المتراكمة والاكاذيب التي نسجت في اوربا منذ عشرة قرون حول محمد دون ان يخاطر بأن يصبح اضحوكة المثقفين الامناء .

بعد هذا المسح التاريخي للكتابات في اوربا يبدا الدكتور بدوي بمناقشة الكتابات التي تدعي الاكاديمية والعلمية من قبل المسستشرقين ،في ست فصول واهم القضايا التي اثارها هؤلاء تجاه النبي وسيرته .

-الفصل الاول : صدق محمد فيما يتعلق برؤاه للملأ الأعلى.
- الفصل الثاني : حسية الرسول المفترى عليها .
- الفصل الثالث : سياسية محمد تجاه خصومه .
- الفصل الرابع : وفاء محمد بالعهود المعقودة .
- الفصل الخامس : النظم الاسلامية والتأسيس النهائي لها من الرسول .
- الفصل السادس : نقد الصحة التاريخية لرسائل وخطب الرسول واحاديثه .

[34]- بدوي– دفاع عن محمد – ص 47-48

وفيه يرد بدوي على اراء المستشرقين فرانتس بول – وتور اندريا و شبرنجر اللذين ذهب بهم الشطط والخيال وعدم الموضوعية الى تأويلات غاية في الغرابه .

ان الاتهامات الرئيسة التي وجهها المستشرقين الى نبي الاسلام والتي تتردد كثيرا في كتاباتهم ، هي : شبقية النبي – وكذبه فيما يتعلق بالوحي ، وقسوته مع اعدائه .ومرة اخرى يجب ان اؤكد هنا ان اقصاء العامل الغيبي الذي هو شرط اساسي لفهم سيرة الرسول والاسلام عموما ،لم ياخذه المستشرقين بنظر الاعتبار على الاطلاق ، وهو امر لايقبل به أي مسلم ،لانه يجرد الاسلام من تعاليه .

ان الدخول في تفصيلات الاتهامات ،وردود بدوي عليها ليست هي الغاية من هذا البحث ، اننا نرصد التغير في موقف بدوي – ان وجد – تجاه بعض المستشرقيين اللذين كان لبدوي راي فيهم من خلال ترجماته العديدة .اذ ان الاتهامات السابقة التي اشر ت اليها لم يعد يلتفت اليها احد .لانها وصلت الى اقصى درجات المبالغة الساقطة والسفه العلمي [35].

يورد بدوي راي لويس ماسينيون في مقالته (اصل المعجم الفني للتصوف الاسلامي – باريس 1920) الذي اضح فيه كيف ان حالات الروحية التي كانت تحدث لمحمد عشية بعثته وبعد الوحي مشابهه للحالات الروحية للمتصوف الذي لم يصل بعد الى حالة "الواصل "[36]

يعقب بدوي على هذه الاطروحة ،ان تصوف محمد له حدود يجب ان تحدد فمحمد لم يكن صوفيا على طريقة الحلاج والبسطامي .. . ولا حتى على طريقة الغزالي او الجنيد .انه كان عبارة عن تزيد في تقوى الله ،مع الاحتفاظ بالشعور دائما والا لما كان من الممكن ان يكون هذا المنظم العظيم لدولة كبيرة ولا هذا المخطط الكبير للحروب ولا هذا السياسي العظيم في تصريف شئون الدولة .[37]

---

[35]- بدوي – دفاع عن محمد –ص59 .

[36]- بدوي– المصدر السابق – ص67.

[37]- بدوي– المصدر السابق – ص68.

ويستعرض بدوي راي فرانتس بول في كتابه (حياة محمد) في حسية الرسول ويقول عن هذا الكتاب انه احد اكثر الكتب حقارة عن النبي والاسلام .[38]

ثم يستعرض بدوي زيجات النبي ويقدم المبررات الكافية لكل زيجة بحيث يصبح من المخجل بعد ذلك ترديد هذه الفرية .

اما التهمة الاخيرة وهي عنف محمد وقسوته تجاه خصومه ،سواء من اليهود ،او المسيحي ناو العرب .فيخصص لها بدوي الفصل الثالث .

وهو الموضوع الذي اطلق فيه المستشرقين العنان لنقدهم مع كثير او قليل من سوء النية والعنف حسب اتجاه كل طائفة من اعداء محمد .فبالنسبة للعلاقة مع اليهود ،يؤيد بدوي راي يوليوس فلهوزن حول صحيفة المدينة باعتبارها لاتشمل على معاهدة مع اليهود ،لان اليهود ذكروا في هذا النص فقط لانهم موالون للانصار والعلاقة بين محمد واليهود كانت غير مباشرة وعبر الانصار . وفلهوزن يؤمن بصحة هذه الوثيقة .اتي تعود برايه الى بداية العهد المدني قبل معركة بدر ...لان محمد بدا خلالها متسامحا ومتواضعا ... لانه كان يأمل في دخول اليهود في الاسلام . [39] وهنا لانرى تدخلا من الدكتور بدوي بشكل مباشر ،بل يرد عليه من خلال رأي مستشرق اخر هو (جريم)لكنه يوافق على ان هذه الصحيفة كانت قبل غزوة بدر .

ويهاجم راي المستشرق الايطالي (ليون كاتاني) حول عدم فهم المسلمين لنصوص الوثيقة ،ان كاتاني يبدو هنا – هو او من كتب له هذه الفقرة – قد وقع في بلاهة نادرة او ضحية خياله الجامح ... ولابد ان يكون مختلا عقليا ليقول هذا الكلام .ان عبارة -من كتب له هذه الفقرة – لان الامير اتهم على رؤس الاشهاد بانه ليس هو مؤلف كتاب (حوليات الاسلام) الذي ورد فيه هذا الرأي .[40]

---

[38]- بدوي– المصدر نفسه – ص73.

[39]- بدوي -المصدر السابق – ص 92-93 .

[40]- بدوي – المصدر السابق – ص 96 .

ويلوم بدوي (مونتغمري وات) لوما خفيفا لان كان عادلا وموضوعيا وحسن النية تجاه النبي .حول رايه بواقعة بنو النضير الذي يقول فيه :ان مثل هذا التصرف القاسي يبدو غير مبرر اذا قيس بالجرم المرتكب او ربما لايتفق مع ماقيل من اشياء تعد تصرفات مبهمة في موضوع تعمد الخيانة من جانب اليهود . ويرى بدوي ان هذه ليست تصرفات مبهمة بل حصافة وحسن تصرف تام .[41]

ويشيد بدوي بحكم (مكسيم رودنسون) في واقعة بني قريظة خلافا للافتراءات التي يسوقها كاتاني اذ يقول رودنسون : لقد كانت مذبحة بني قريظة من ناحية اخرى ومن وجهة نظر سياسية امرا مفروضا فقد كان بنو قريضة يشكلون خطرا دائما على المدينة وكان تركهم يرحلون يقوى مركز المؤمرات المضادة للمسلمين في خيبر والموتى فقط هم اللذين لا يعودون ... وكان الحل الذي اختاره محمد هو الامثل من الناحية السياسية .وهذا خلافا لراي وات الذي يبدو مظطربا جدا فبدلا من ان يسوق حكما واضحا فانه يتخبط .[42]لكنه يعود ويمدح وات لانصافه بعد ذلك بصفحتين . وفي ذات الوقت ينتقد مكسيم رودنسون في قضية اخرى باعتباره يردد اليا نفس السخافات ولم يكن كتابه الا ترديدا لآراء المستشرقين الاخرين دون ان يفكر هو نفسه في القضايا محل الخلاف الا في حالات نادرة .[43]

ان هذا الاضطراب في الاحكام بين الحين والاخر ناتج من الدكتور بدوي يستعرض اراء منفردة ولايلتفت الى المنهج المتبع ا والى موقف المستشرق العام . وبعض الاعتراضات التي يسوقها على وات مثلا تبدو ضعيفة بل مضحكة ، فحين يتحدث وات عن ممكنات التاريخ التي يمكن ان تنشأ من تحالف بين النبي واليهود ،نرى ان تفنيده لهكذا فرضية فقط بكونها قضية مضحكة وثيرة للسخرية ،ويتسأل في اية حال كان وات

---

[41]- بدوي – المصدر السابق –ص106 .

[42]- بدوي المصدر السابق –ص113-114 .

[43]- بدوي– المصدر السابق – ص 114- 123.

حينما كتب هذه الجملة الاخيرة ،انه حتى لو احتسى عشر زجاجات ويسكي دفعة واحدة لما كان من الممكن ان يقول هذا الكلام .[44]

خاتمة :

ان كان لي ان اخلص الى نتيجة من هذا البحث فهي بالتاكيد اننا نلمس تحولا في موقف بدوي تجاه بعض المستشرقين اللذين كان يكيل لهم المديح في بداية حياته الفكرية . لكنه ليس بالتحول الخطير والجذري . فالانتقادات التي كان يسوقها تجاه الاستشراق انما انصبت على مستشرقيينلاوزن لهم اكاديميا ومعروفين بتعصبهم الاعمى وانتماءاتهم المريبة لجهات متنوعة دينة وكنسية وسياسية . الشيء الاخر هو ان الدكتور بدوي كان في كتابيه الدفاعيين تقليديا جدا ،فكانه لم يسمع بالانتقادات العميقة للستشراق النابعة من تحليل البنية الداخلية للاستشراق ذاته وليس في مظاهرة الخارجية ،لذا نجد كتابيه يخلوان من أي اشارة الى مصادر حديثة . والحقيقة ان الكتابات غير العلمية لاتستحق الرد لصفتها هذه ،وهي معظم ماتناوله بدوي من كتابات المستشرقيين . في حين ان هناك كتابات تمتاز بالعمق والخطورة من قبل المستشرقين تجاهلها تماما مثل كتابات برنارد لويس . لكنه يذكره بكثير من الذم في مذكراته . فهو صهيوني ضالع بنشاط كبير في المؤسسات الصهيونية .ومستشار هذه المؤسسات في انجلترا .ومكلف من قبل هذه الدوائر للقضاء على مؤتمر المستشرقين - المزمع عقده في باريس سنة 1973- لان القضاء على هذا المؤتمرهدفا كبيرا من اهداف الصهيونية العالمية !!.[45]

والشيء الملاحظ هو ان الدكتور بدوي لا يخفي مشاعره السلبية تجاه المستشرقين اليهود او اليهود بصورة عامة ، ففي احد المؤتمرات التي حضرها في نيويورك كان

[44]- بدوي– المصدر السابق – 145-146-.

[45]- بدوي– السيرة – ج2- ص 255.-256 .

يستفزه حضور اليهود في المؤتمر بطاقياتهم الصغيرة يقول : لقد ضقت ذرعا بهذا المنظر ،وبعد ان علقت على عبث الترجمات العبرية عن العربية لمؤلفات ابن رشد في القرون من الثالث عشر حتى الخامس عشر .ولم يستطع احد من الاساتذة اليهود الحاضرين ان يرد بكلمة واحدة ..وكان حاضرا منهم حينذاك رتشارد فلتر ،وفرانتسروزنتال ،و وجوستاف جرونيباوم ، ولم احفل بوجودهم ولا بوجود أصحاب الطواقي اليهودية ،ولا كوني في قلب عاصمة نفوذهم الاكبر نيويورك .[46]

وهناك الكثير من الاشارات السلبية للدكتور بدوي في كتابيه الدفاعيين تجاه المستشرقيين اليهود بوجه خاص ،ويمكن ان نقول ان اليهودية كانت مثل التهمة يكيلها لهم بدوي ،باعتبارها هي التي تكمن خلف الكثير من ارائهم وكتاباتهم المتحيزة تجاه الاسلام ونبيه الكريم ،وهو رأي لايستطيع الانسان المسلم ان لايتفق مع الدكتور بدوي في صوابه .

Abstract

The present paper investigates the stance of Badawi towards orientalists and the development of this stance throughout his intellectual life .

His stance towards them had not been a constant and unified one , there had been numerous stance adopted by Badwi towards orientalists and there works.

Three stages concerning Badawi stance can be clearly distinguished .each of these stages was characterized by a definite stance .

[46]- بدوي – السيرة –ج2 . ص 233.

The first stages represents the state of similarity in which Badawi adopted the approaches of orientalists ant there results in a semi-identical way .

The second stages is characterized by objectivity in his criticism and analyses of orientalists works .

The third stages represents his direct attack and sheer criticism towards some orientalists studies in this stages criticize such studies that criticize the Koran and and Prophet Mohammed .

This stance was clearly evident in his two books (ADefence of Koran Against its Critics) and (A Defiece of Mohammed Against (the Degraders

Thus the present papers focuses on the third stages which witnessed the development of Badawi,s stances towards orientalists stating his replies and criticisms for them in comparing to what he used to praise and admire in the first two stages

المصادر

1- - د .احمد عبد الحليم عطية –الممائلة والمقابلة ،مقالة منشورة في مجلة "المسلم المعاصر عدد 79 – القاهرة .

2- عبد الرحمن بدوي – دفاع عن القرآن ضد منتقديه –ترجمة د.كمال جاد الله ،دار الجليل ط1– القاهرة .1997

3- عبد الرحمن بدوي – دفاع عن محمد (ص) ضد المنتقصين من قدره ،ترجمة د.كمال جاد الله - الدار العالمية للكتب للنشر-القاهرة ،ط1 .1999

4- بدوي–سيرة حياتي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت 2000ط1 .

5- بدوي –التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية – القاهرة ط1 .

6- بدوي – من تاريخ الالحاد في الاسلام ،القاهرة ،1945 .

7- - بدوي – شخصيات قلقة في الاسلام ، القاهرة – سينا للنشر 1995ط3.

8- - عبد الرحمن بدوي – موسوعة الحضارة العربية الاسلامية – الجزء الخاص بالفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية –المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت –عمان 1995ط1.

9- عبد الرحمن بدوي – دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي –دار العلم للملاين – بيروت 1986ط2 .

10- كارل هنريش شيدر – روح الحضارة العربية ،ترجمة ودراسة عبد الرحمن بدوي ،بيروت 1949ط1.